موسيقى

مهرجان برلين للموسيقى

يصادف هذا العام مرور سبعة عقود على تأسيس مؤسسة برلين للمهرجانات الموسيقية. مناسبة سانحة للاحتفاء بها، من خلال مهرجان برلين للموسيقى الكلاسيكية، رغم ما عاشه طوال عام ونصف تحت وطأة جائحة كورونا. هنا، إطلالة على التظاهرة

من عروض التظاهرة (صفحة المهرجان على فيسبوك)

غناء من خلف الكمامات

علي موره لي

في عزمها على جعل العاصمة الألمانية تتنفس هواء الموسيقى من جديد، وإن يكن من خلف كمامة سميكة من نوع «إف إف بي 2»، ذات الحماية المضاعفة ضد كورونا على جبهتيّ الحرب على الفيروس، أي منع حامله من نقله لغيره والخالي منه انتقاله إليه على حدٍ سواء، والتي تجعل التنفس في حد ذاته مشقة، والتحدث من خلالها أو الاستماع إلى من يتكلم من خلفها شبه استحالة. مع ذلك، قررت مؤسسة برلين للمهرجانات الموسيقية Berliner Festspiele المضي قُدماً في دورة هذا العام من مهرجان المدينة للموسيقى الكلاسيكية Berlin Musikfest.

كيف لا، وسنة 2021 تصادف مرور سبعين عاماً على تأسيسها. من جهة أخرى، اقتضت ظروف الوباء أيضاً القبول بنصف الاستطاعة الكاملة لكل صالة استضافت عرضاً من العروض. كما فُرض على كل زائر التسجيل قبل الدخول. وذلك إما ورقياً أو رقمياً، بواسطة تطبيق يجري تنزيله مسبقاً على الجوال، يمسح رمزاً يسمح بنقل المعلومات الشخصية إلى قاعدة بيانات وزارة الصحة، لتُطلق آليات التعقّب في حال ظهور العدوى منعاً لانتقالها. فضلاً عن إبراز إثبات تطعيم بجرعتين ضد كورونا مضى عليه أكثر من أسبوعين، أو فحص سريع انتهى إلى خلوٍّ من العدوى، أو تعافٍ كامل من إصابة لم يمض عليها أكثر من شهور ستة.

في ضوء استثنائية الحَدث هذا العام لجهة سبعينيّة الدورة أولاً، وثانياً، لجملة التعقيدات الجمّة الناتجة عن عام ونصف من الجائحة العالمية، والمرتبطة بتنظيم العروض والقيود المفروضة على إحيائها وارتيادها، ناهيك عن إلغائها أو تأجيلها، إثر كل إغلاق جديد، أُريد للمهرجان أن يُستَهل بمناسبة تأسيسية ترمز إلى مستقبل واعد ومُشرق. لذا، أتى الحفل الأول ليُعلن عن ولادة أول كورال، أو جوقة غنائية ألمانية شبابية وطنية على مستوى الفيدرالية، أي أن أعضاءها شبيبةٌ يجري استقدامهم من الولايات الألمانية جميعها.

> استهل المنشدون الحفل بغناء مقطوعة لـ يوهان برامز

وللاحتفال بتأسيس كورال شبابي وطني، رمزية خاصة حمالة أوجه عدّة، وذلك في ظل الظروف الاستثنائية الحالية. أولها أن الغناء الجماعي، في ألمانيا على الأقل، كان من أبرز ضحايا الإغلاقات المتكررة التي شهدتها البلاد والعالم. ففي شهر أبريل/نيسان من العام الماضي، تقدم لوتار فيلر، رئيس معهد روبرت كوخ، وهي الهيئة الألمانية الحكومية المكلفة بمراقبة الأوبئة والسيطرة عليها، بنصيحة مفادها أن الغناء الجماعي ينبغي تجنّبه؛ إذ تُشير الأدلة العلمية إلى أن قوة دفع الهواء عبر الحنجرة أثناء الغناء، تمكن الفيروس من الارتحال بعيداً والحلول سريعاً في مزيد من الأجساد.

ثم أتت إصابة تسعة وخمسين من أصل ثمانية وسبعين، هم مجمل أعضاء جوقة كاتدرائية برلين البروتستانتية. لتؤكد مخاوف القيّمين على الصحة العامة والمسؤولين في مؤسسات الدولة. بهذا، جرى حظر الغناء الجماعي بجميع أشكاله الدينية والعلمانية. حظرٌ كان قد شمل أيضاً دروس الغناء، سواءً في المدارس العامة، أو الموسيقية الخاصة، وفي المعاهد والجامعات الفنية.

وجهٌ آخر ثقافي، هو أن لتقليد الغناء الجماعي في أوروبا الشمالية عموماً، وألمانيا بشكل خاص، جذوراً تاريخية عميقة ممتدة حتى العصور الوسطى. ففي حين أن الكنيسة الكاثوليكية المتمركزة جنوبي القارة، كانت قد حرّمت الترتيل على غير الرهبان، وخارج أطر الشعائر الدينية، كانت الكنيسة البروتستانتية، التي نشأت وتوسّعت في أقاليم الغرب والشمال، قد لمست لدى الموسيقى والغناء الجماعي تحديداً، قوة تنظيم وتأثير اجتماعي، من شأنها أن تُساعد على بث ونشر العقيدة الجديدة حينئذٍ.

مع بزوغ فكر التنوير منتصفَ القرن الثامن عشر، واتساع المسافة ما بين الدولة والكنيسة، انتقل تقليد الغناء الجماعي الغربي من المذبح إلى الفضاء العام. حينها تأسست في القرن التاسع عشر، ما عُرف بحركة الجوقة العلمانية. ليتحول الكورال إلى وسيلة تربوية وتثقيفية مُجتمعية، تبنت أنماطاً متعددة من الأغنية، كعصر النهضة والباروكي القديم والشعبي التقليدي، وحتى الديني، وإن ظل خارج الإطار الشعائري. اليوم، يوجد في ألمانيا قرابة ثلاث وعشرين ألف جوقة. يبلغ عدد أعضائها قرابة المليون ونصف.

وللسياسة وجهٌ أيضاً. فالإعلان عن تأسيس جوقة شبابية وطنية، يأتي شهراً قبيل انتخابات فيدرالية في ألمانيا، تُعد تاريخية. لجهة أنها بوابة خروج المستشارة الألمانية آنجيلا ميركل من المشهد السياسي بعد قرابة العقدين، وعتبة دخول مستشار جديد أو مستشارة. وذلك بالتوازي مع رغبة لدى المؤسسات، ومعظم التنظيمات الحزبية والمجتمعية في التأكيد للرأي العام والمجتمع الدولي على أن إرث ميركل سيستمر. وأن تموضع ألمانيا إلى يسار أوروبا والعالم، خيارٌ يُمليه عليها التاريخ ويدفعها نحوه المستقبل.

تموضعٌ أمامه تحديات كُبرى، تتثمل أولاً في كيفية الإبقاء على ثوابت التعددية والديمقراطية في عالم يتغير بسرعة جنونية، مُنتجاً أنماط جديدة - قديمة من الحوكمة والخطاب السياسي. وثانياً، في سُبل ترجمة صادقة وتطبيق ناجح لتلك الثوابت في الميدان، منعاً من تحولها إلى مجرد شعارات ناشزة عن الواقع تُغرّب العامة عن النخب السياسية. ثالثاً، والأهم، في الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع الجديد في ضوء التغيرات الثقافية إثر تحول ألمانيا المضطرد، وبفعل عوامل موضوعية اقتصادية وديمغرافية، إلى دولة هجرة.

من هنا، خاطبت وزيرة الدولة الألمانية لشؤون الأسرة، كريستين لامبرخت، في كلمتها الافتتاحية، أعضاء الجوقة بأنهم «فريق ألمانيا الوطني»؛ فالغناء جماعةً يُعلي من شأن المجتمع، يمنحنا هوية، ينتمي إلى ثقافتنا كما يجلب لنا الكثير من المتعة». ومن هنا أيضاً، بدا الكورال بوجوه أعضائه متعددة الألوان والأعراق، مرآة تعكس وجه ألمانيا المعاصرة، فضلاً عن إسناد إدارته الفنية، أي قيادته، إلى امرأة هي قائدة الأوركسترا آن كوهلر.

استهل المنشدون الحفل بغناء مقطوعة للمؤلف الألماني يوهان برامز (1883-1897) بعنوان «مهرجان وتكريم». كان المؤلف قد كتب العمل استعادةً لغمرة أفراح جماهيرية، بتوحيد ألمانيا تحت الإمبراطورية القيصرية سنة 1871، وجنّد لأجله جوقة مضاعفة، ترمز كلٌّ منهما إلى الرأي والرأي الآخر، إلى زوال الخلاف وإحقاق الوفاق والاندماج بين الأفرقاء.

قريباً من الفم

خص الحفل المؤلفة الألمانية الشابة كاترين دينر بقطعة تؤدى للمرة الأولى بعنوان «المكنون». تُحاكي حال البشرية في زمن الوباء. كمّ المغنون أفواههم بأيديهم، كحركة أدائية مقلّدين ارتداء الكمامات. إلا أن الكمّ كان له أيضا غرض موسيقي تعبيري. فبتحريك اليد بعيداً ثم قريباً من الفم أثناء الغناء، تتغير شدة الصوت انخفاضاً وارتفاعاً، ويتغير لونه أيضاً غمقاً ولمعاناً

أخبار

في الثلاثين من الشهر الجاري، تقيم «دار الأوبرا المصرية»، على خشبة مسرح النافورة، عرضاً يحمل عنوان **كوكب الشرق**، إذ تؤدّي فيه الفرقة مجموعة من أغاني السيدة أم كلثوم، مثل «ما دام تحب بتنكر ليه» و«خايف يكون حبك ليّ».

أصدر المغني لوك هيمينغز، ألبوماً بعنوان **When Facing the Things We Turn Away From**. يُعرف هيمينغز بكونه المغني الرئيسي والمؤلف في فرقة البوب روك 5 Seconds of Summer. يضم الألبوم الأول لهيمينغز 12 أغنية.

في التاسع والعشرين من الشهر الجاري، يقيم «مترو المدينة» في بيروت، عرضاً بعنوان **بعد حين**، يؤدي فيه الفنان نعيم الأسمر أغنية أم كلثوم، «هذه ليلتي»، التي كتب كلماتها جورج جرداق، ولحّنها محمد عبد الوهاب.

أصدرت بيلي أيليش ألبوماً جديداً حمل عنوان **Happier Than Ever**، وهو الألبوم الثاني في مسيرة النجمة الشابة (19 عاماً)، وذلك بعدما استطاعت خلال الأعوام الأخيرة أن تغير معايير موسيقى البوب الحديثة.

يعود الثنائي الموسيقي المصري، **فؤاد ومنيب**، إلى المكان الذي انطلقا منه، «ساقية الصاوي»، ليفتتحا فعاليات المركز الثقافي في الأول من الشهر المقبل، ويقدّما عرضاً يؤدّيا فيه مجموعة من المقطوعات الموزعة بين الكمان والبيانو.

The plot in you
لا أريد أن أغرق معهم

عمر بقبوق

إن تحديد موعد النهاية وختام الرحلة، هو أمر لا تناقشه الفرق الموسيقية عادةً أثناء قيامها بإنتاج ألبوم جديد، لكن فرقة الروك الأميركية، The plot in you، فجّرت المفاجأة، عندما أعلنت أن ألبوم Swan Song، الذي أصدرته الأسبوع الماضي، سيكون عملها الأخير؛ ما يزيد الأمر غرابةً، أن الفرقة لا تزال فتية ولا يتجاوز عمرها الفني عشرة أعوام، أنتجت خلالها خمسة ألبومات فقط. ولم تبلغ ذروة نجاحها إلا في الألبوم السابق، Dispose، الذي أصدرته قبل ثلاثة أعوام.

وإذا ما كان ألبوم Swan Song هو الألبوم الأخير لفرقة The Plot In You بالفعل، فسيكون عندئذٍ القطعة الفنية الأخيرة في لوحة موسيقية رُسمت بعناية فائقة على غرار المسرحيات الكلاسيكية؛ فهي الفصل الأخير من الفصول الخمسة التي تسرد حكاية جديدة من الحكايات الغريبة في عالم موسيقى الروك. هذه القطعة الأخيرة، وصفها مؤلف أغاني الفرقة، لاندون تيويرز، بأنها تتمحور حول كيفية التعامل مع النهايات، وهو تأطير موضوعي واضح جداً في العنوان وبكل ما يحتويه الألبوم من شعر غنائي حول نهاية العلاقات والصداقات والعقليات، وفي بعض الحالات يكون النهاية الفعلية للحياة. لذلك، فإن الألبوم يأتي بلهجة معجونة باليأس، يتخللها جانب مضيء يمكن الشعور به من دون لمسه؛ إذ يحجبه ظلام الكآبة في معظم الوقت.

يتكون الألبوم من عشر أغان، تندمج فيها موسيقى الروك وإيقاعاتها الحديدية، بموسيقى بوب خفيفة رومانسية ودافئة، يرافقها أشكال متضاربة من الأداء، ليكون الغناء ببعض الأحيان بطبقة «الآسمر» القريبة من الهمس، وتتصاعد بأحيان أخرى إلى حد الجعير الرائج في أغاني الميتال؛ لتبدو الأغاني منطوية على ازدواجية موسيقية لتدفعك نحو عالمين تفصل بينهما هوة كبيرة، الجدير بالملاحظة أن معظم الأغاني تتخللها لحظات صمت قصيرة تكسر الرتم، لكنها تبدو ضرورية للتوليف بين الأصوات المتتابعة التي قد تبدو غير متناغمة للبعض.

> تتمحور أغاني العمل الأخير حول كيفية التعامل مع النهايات

من دون مقدمات، يبدأ الألبوم بطرق أبواب الكآبة مبكراً من خلال أغنية Letters To A Dead Friend، التي لا تبدو رسالة نمطية أو رثاء قد يكتبه إنسان عادي لصديقه الميت، على الرغم من كم الكآبة الكبير فيها. تبدأ بأداء بهمسات دافئة لتوصيف حالة جسدية راهنة، لكن الإيقاع يرتفع فجأة، ويبدأ الجعير ليدمر المنطق؛ يتم التدمير بشعرية عالية مشحونة رغم غرابتها برسائل الرثاء، فيرد بالأغنية: «في كل يوم أمضيه حياً، أرتدي وجهاً جديداً ينتمي لجسد رجلٍ آخر. أشعر بأنني استبدلت وأعيد ترتيبي، لتطاردني الكوابيس دائماً».

في الأغنية التالية، Fall Again، يبدأ السرد، ويغدو أكثر منطقية رغم الانغماس الحاد في الصور الشعرية. إن كل شيء مرتبط بالنهاية الحتمية التي يهرب منها الإنسان يوماً بعد يوم، فتنتهي جميع المقاطع نهاية متشابهة، بالمناجاة والرغبة الجدية بالنجاة في حين يبدو كل شيء يتهاوى؛ فيرد بنهاية المقطع جمل من قبيل: «إذا وقعنا مرة أخرى، فك قيودي.. لا أريد أن أغرق معهم».

النهاية تبدو أمراً حتمياً دائماً، وهذا الأمر يتم توكيده في كل مرة. ففي أغنية Face Me، تتصاعد الرغبة بالنجاة والمقاومة إلى حد المطالبة بمواجهة مباشرة، لكن لا يغيب إدراك حتمية النهاية والزوال؛ فيرد بالأغنية: «لا يمكنك إصلاح روحي وعكازي وبيتي». ويصل الأمر ببعض اللحظات إلى حد الاستسلام والانكسار، كما هو الحال في أغنية Whole Without Me، التي يرد بلازمتها: «اثقب جلدي، اسحب عظامي. سأبقى مدفوناً في روحي».

لا يمكنك إصلاح روحي وعكازي وبيتي (جوي فولي / Getty)